تلخيص مفهوم الدولة

عبدالله العروي

التمهيد

يبدأ الكاتب بطرح تساؤل يبني عليه موضوع الكتاب عن ارتباط الحرية بالدولة، ثم انتقل للسلطة التي تمارس في جميع طبقات و مراحل حياة الإنسان و التي غالبا ما يتم الجواب عن الكثير من بديهيات الحياة بأنها قانون من الدولة كما عبَر الكاتب، و أسس لفكرة أو أيدولوجية الدولة و التي تكون مبنية في نظام الإنسان الداخلي مثل الطعام و الشراب، و استعمل طرح مهم جدا بين أيدولوجية الدولة و نظرية الدولة و كونها أمر قد يبدو متعارض المفهوم، لكن وضح الكاتب بأن الفكرة هي فرصة للعقل بأن يحلل أكثر فكرة الدولة و تعطي صورة قد تؤدي إلى بناء نظرية للدولة، و أضاف الكاتب أن الدولة أقدم من فكرة الدولة نفسها و أنها دائما ما كانت متجسدة بشخص أو مجموعة من الأشخاص، و أكمل أن التفكير حول الدولة يكون على ثلاث محاور: الهدف، التطور، الوظيفة؛ المحاور الثلاثة تختلف بالمفردات و المفاهيم و المناهج، و يصعب العمل على المحاور الثلاثة معا و أن التركيز في إحدى المحاور ينحي المحاور الأخرى، ثم انتقل الكاتب إلى المناهج التي تدرس الدولة على أساسها و هي: القانون، الفلسفة، التاريخ، الاجتماعيات؛ و صرح الكاتب بأن كل منهج تتم دراسته أو تناوله يختلف تماما عن الآخر في طريقة تناول الأفكار و ترتيبها و أن لكل باحث في إحدى المناهج وظيفة محددة.

المفارقة الحالية

تناول الكاتب مفهوم العقلانية في إطار السياسة و الاجتماع حصرا مع تأكيد الكاتب على ذلك إذ أنها مختلفة عن معناها الشامل، و أكد مع إعطاء الكثير من الأمثلة على أن العقلانية هي ما أدى بتطور الفكر أولا بملاحظة الكون من حوله، ة تسخير هذا الكون، ثم ممارسة القوة بالأدوات التي صنعها من ما حوله، ثم العمل على التنظيم العسكري الذي أسس للعلم الاستراتيجي، ثم انتقل للمجال ة التنظيم الاجتماعي عن طريق التجارة، و التجارة أسست لعلم الحساب و الأرقام و تطور أدواتها، إلى أن وصلنا لأنظمة سياسية مبنية على فكرة إدارية اقتصادية، كالرأسمالية و الاشتراكية.

ثم تحدث عن البيروقراطية و كونها أداة تستخدم لقياس مدى موضوعية الدولة في دوائر مختلفة من الإدارة، و انتقل الكاتب للوطن العربي و أن ما نحتاجه لمعرفة شكل الدول فيها إلى دراسات مفتوحة معمقة حتى نصل إلى معرفة تمكننا في النهاية من الوصول إلى نماذج مناسبة بعيدة عن الطوباوية التي انتقدها الكاتب و التي تتشكل بكثير من الطرق أبرزها ابتعاد الفرد عن الواقع و معرفة الحقائق و الاستمرار في العيش بالأحلام أو الطوبى و التي تشكل الصورة التي يريد رؤيتها، أكد الكاتب على فكرتين مهمتين جدا، لا دولة بلا حرية، و أن البيروقراطية أداة تستعمل في الخير و الشر أو في الدول التي تتمتع بالحرية أو الدول التي تفرض القمعية و البيروقراطية هي الأداة نفسها، و في النهاية أكد على مدى تأثر الفرد العربي بالتجارب السابقة خصوصا العقود الثلاث الأخيرة و التي انقسم فيها الناس بين طوبوي و غير مهتم بشكل الدولة المناسب أو القادم و من هو مهتم بما هو قادم مع صعوبة مهمته لكن عدم استحالتها.